المسؤولية الاعلامية في القـــرآن

الدكتور عبد القادر حاتم
القاهرة

استمرار الدعوة للدين
ما استمرت الحياة

المسؤولية الإعلامية في القرآن ـ وجوب الدعوة بحكم تكليفي ـ نوع الوجوب ـ الدعوة إلى الإسلام في حياة الرسول (ص) ـ دعوة الصحابة إلى الإسلام ـ أسلوب الدعوة عند الصحابة ـ السنة وسيرة الرسول (ص) ـ الجهاد والدعوة إلى الإسلام ـ الحرب الإسلامية جهاد ـ الدعوة في أعقاب الحرب ـ دور الوالي في الدعوة ـ حسن الجوار ـ الدعوة الإسلامية الآن ـ تنظيم الدعوة ـ الإشراف عليها ـ الصوفية ودورها ـ أساليب جديدة ـ الداعي وصفاته.

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤].

وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وقامت أمة جديدة على الأرض يقول عز وجل فيها:

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

وبهذا البيان الحكيم من رب العالمين، أصبح واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والإيمان باللّه مسؤولية معلقة بعنق هذه الأمة التي أَتَمَّ اللّه نعمته عليها وأكمل لها الدين لتكون شهيدة على الناس.

وأمر الله تعالى، بمتابعة الدعوة إلى الدين، أمر يقتضيه عمران الحياة وتغلب قوى الخير على قوى الشر واستمرار الدعوة إلى الدين هدفه الأسمى دوام الرابطة بين الخلق ومن خلقهم وهدفه الدنيوي صلاح الحياة وتطهيرها من الشر والرذيلة حتى تتألق بالفضيلة والخير، وبذلك تكون الدعوة المستمرة منسقة مع تقدم الحياة ومصلحة الناس وسعادتهم في الحياة الدنيا والآخرة.

وهذه الدعوة كما تجلت لنا في الفصول السابقة. تهدف إلى توجيه، بصر الإنسان وعقله وقلبه، إلى المثل الأعلى من كل أمر وإلى الأهداف السامية للوجود، وهي لا تحرم زينة أو متعة مطهرة من الرجس أو الخبث وهي دعوة إلى الحب والإخاء الإنساني في أسمى صورهما، ودعوة إلى تحرر الإنسانية من كل خوف يتصل بهذه الحياة والحياة الأخرى ودعوة إلى المساواة حيث لا يتفاضل الناس فيها إلا بتقوى اللّه والعمل الصالح.

دعوة يتواصى الجميع فيها بالصبر والحق، ويتحدون تحت لواء اللّه ورسوله ومن ولاه اللّه أمرهم من خلقه، ويقيمون على أساسها مجتمع الكفاية والتكامل والعدل، يأخذون بيد الضعيف واليتيم والمسكين والفقير ليكون مجتمعاً مبرأ من الفاقة والبغي والانحراف ويتحلون بأخلاق القرآن التي هي جماع الأخلاق وأفضلها وأقواها لطهارة المجتمعات وازدهارها تحت ظل الإيمان باللّه.

إن الدعوة إلى مثل هذا المجتمع واجب مفروض على كل جماعة إسلامية بأمر اللّه وقرآنه، على أن يتم ذلك في إطار الأساليب القرآنية للدعوة.

وإعداد الدعاة لهذه المهمة المفروضة أمر أساسي في المجتمع الإسلامي يجب أن يكون له مكانة في خطط التربية والتعليم والاعلام، لأنها أخطر مهمة يتوقف عليها صلاح المجتمع.

والآية الكريمة التي صدرنا بها هذا الباب التي تضمنت قول العزيز الحكيم **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** [آل عمران: ١٠٤] تدعونا إلى استمرار الدعوة للدين في كل مكان وزمان والأساليب القرآنية نبراسها الذي تهتدي به وتجعل الرسول الكريم قدوة لها في عملها الخطير العظيم الأثر في حياة الأفراد والمجتمع الذي يرسم لنا القرآن أسمى تصور له في كتابه الكريم.

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة: ١٢٨] **﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾** [الشعراء: ٢١٥].

وباتباع الأسلوب القرآني والسنة النبوية الكريمة يتحقق الخير للجميع أفراداً وجماعات:

ليكون من حقنا على اللّه أن يتم علينا ما وعد به المؤمنين.

﴿وعد اللّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً..﴾ [النور: ٥٥].

المسؤولية الاعلامية
في القرآن واستمرارها

إذا كانت المنكرات هي المعول الذي يهدم بناء المجتمع ويهدد كيان الأمم فالإسلام حرمها لأن أثر المنكرات غير خاص بمرتكبيها ولأن الساكت عليها يعتبر عاملاً بصمته على نشرها وإذاعتها وترى التوجيه القرآني في هذا الشأن في قوله تعالى: **﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾** [الأنفال: ٢٥].

وقد كان من أصول هذه المسؤولية ـ مسؤولية السكوت عن مكافحة المنكر مع القدرة عليها ـ ما أرشد إليه الرسول في واجب المسلم إزاء ذلك فروي عنه أنه قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» وبذلك قيست درجات الإيمان بمراتب القدرة على مكافحة المنكر، وجعل مكافحته على درجات متفاوتة.

وكفاح المنكر على صاحب السلطان أقوى وأوجب لأن اللّه قد وضع في يده سلطان التأديب ووسائل الزجر؛ لأنهم وحدهم القادرون على التغيير العملي العام ثم تأتي بعد ذلك مسؤولية رب الأسرة في حدود سلطته على أفراد أسرته.

أما المرتبة الثانية من مراتب التغيير فهي مرتبة الوعظ الحسن النافذ للقلوب المؤثر في النفوس وتتطلب كثيراً من الحكمة حتى تقع في دائرة قوله تعالى:

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ [سورة النحل: ١٢٥].

والداعي قدوة: وأبرز أهل هذه المرتبة رجال الدين ورجال الاعلام ورجال التربية وهؤلاء جميعاً مسؤولون أمام اللّه وأمام المجتمع عن موقفهم من المنكرات وكلهم أرباب تغيير بالقول.

والمرتبة الثالثة: من يعجز عن التغيير بالفعل وبالقول فليس شأنه أمام المنكرات شأناً سلبياً يغمض عينيه ويسد سمعه، وإنما سبيل الإنكار بالقلب قطع الصلات التي تربط المؤمن بهذا المرتكب، وقد حددها كثير من العلماء منهم المرحوم الشيخ محمود شلتوت الذي ذكر أن الإنكار بالقلب يكون بعدم مجالسة أو التعامل مع مرتكبيه بأن لا يجالس ولا يعامل ولا يؤاكل ولا يعاشر.. ولا تُقْضَى له حوائج وملاك ذلك كله أن يقاطع مقاطعة تامة يشعر فيها بعزلته وجعل هذا الموقف تجاه تغيير المنكر من أضعف الإيمان..

أسلوب الدعوة بالحكمة
وعدم تكفير الناس أو رمي الناس بالفسق

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي (ص) قال: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسق أو الكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك» رواه البخاري.

* الفسق: الخروج عن الطاعة. فمنه ما يكون خروجاً عن الإيمان، ومنه ما يكون معصية إذا تاب عنها المسلم يقبل الله توبته. والكفر: الجحود والنكران والتغطية فإذا كان في العقيدة كان مخرجاً من الدين وإذا كان في العمل كان معصية من المعاصي لا تخرج صاحبها من مشيئة المغفرة.

وقد[1] حرم الإسلام دم المسلم وعرضه وأن يظن به بسوء. ولما كانت الرسالة المحمدية رحمة من الله بعباده، فإنها أخرجتهم من ظلمة الفسوق والكفر إلى نور الإيمان والطاعة والاستقامة. وقد أدرك صحابة رسول الله نعمة الله عليهم في استنقاذهم مما كانوا فيه، فكان الإيمان والعمل الصالح مأثرة من المآثر التي يعتزون بها، ويحرصون عليها، ويحبون أن يعرف الناس، في غير رياء ولا تسميع ولا شهرة، أن الله قد منّ عليهم بالتوفيق للعمل الصالح.

وقد أصبح وصف أحدهم بما ينزله عن رتبة الطاعة والاستقامة أشد عليهم من ضربات السيوف، وطعنات الرماح، ولهذا حذر رسول الله (ص) أن يتهم المسلم أخاه المسلم بفسق أو كفر، ما لم تكن هناك بيّنة واضحة تستوفي شروط الشهادة التي يوجبها الله عز وجل في مثل هذه المواقف التي يترتب عليه فيها إقامة حد الله عز وجل.

ولكن البشر هم البشر؛ فكثيراً ما ينسى الإنسان في حمى الغضب والمنازعة حدود الأدب الإسلامي فتجري على لسانه ألفاظ يقصد بها أن ينتقم أشد انتقام لفظي من أخيه المسلم، فيرميه بالفسق أو الكفر. هنا يجيء التحذير النبوي ألا يستهين المسلم بهذه الألفاظ وأن يكون على وعي من سوء عواقبها، لأن الذي يرمي بهذه الجريمة إن لم يكن متصفاً بها حقاً، عاد سوء عاقبتها على الذي رماه بها، لأنه خالف شرع الله وأدب رسوله، واتهم أخاه المسلم بما هو منه براء.

وفي ضوء هذا التحذير النبوي يجدر بأهل الصلاح والتقى والخير، العاملين في مجال الدعوة إلى الله عز وجل، ألا يشتد بهم الغضب على إخوانهم من المسلمين وألا يتهموهم بالشديد من التهم التي تنفرهم من دعاة الخير، وتبعدهم عن الاستماع إلى النصيحة، وتورث القطيعة والنفرة بين المسلمين.

---

(١) من جوامع الكلم. . صحيفة الشرق الأوسط.

إن الداعية ملتزم بأدب رسول اللّه، وما لم يكن مفتوح القلب واعي الحس، مقدراً للكلمة التي يقولها، مدركاً للأثر السيّىء الذي تحدثه في قلب سامعها، إذا لم يكن الداعية على هـذا القدر من الإحساس كان ضرره على الدعوة أشد من نفعه لها، وخطره عليها أشد من خطر من يرتكب المعصية دون معاندة أو تكبر أو استهتار، ولكنه يقع فيها كما يقع البشر في كثير من المعاصي، ولكنهم يفيئون إلى اللّه عز وجل ويتوبون إليه ويستغفرونه.

ومن أحق بإتباع هدي رسول اللّه من هؤلاء الذين ورثوا عنه الكتاب، وقاموا بالدعوة إليه فجدير بهم أن يكون سلوكهم قدوة حسنة، وحديثهم من أحسن الحديث، وهديهم من خير الهدي، وكيف لا وهم أتباع خير الدعاة.

جهاز الاعلام الإسلامي

المسؤولية الاعلامية في القرآن:

وتأتي المسؤولية الإعلامية بتوجيه مباشر من اللّه تبارك وتعالى لرسوله (ص) في قوله تعالى:

﴿يا أيها الرسول بَلِّغْ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [المائدة: ٦٧].

قد حملت أمته هذه المسؤولية من بعده، ولها فيه أسوة حسنة، لمن كان يرجو اللّه واليوم الآخر.

وإنه إذا كانت الدعوة المحمدية عامة للناس كافة، وأنه لا نبي بعده، فإن اللّه تعالى يقول:

﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

وقد بعث الرسول الذي هو خاتم النبيين، وعلم أصحابه، وجعلهم أئمة يهدون بأمره وقال: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل».

لقد ربى النبي (ص) ذلك الجيل الذي عاصره من الصحابة، وعلم أصحابه التابعين من بعدهم، وتوارث الناس العلم بالرسالة المحمدية، جيلاً بعد جيل، وحمل العلماء أمانة التبليغ، كما حمل أنبياء بني إسرائيل ـ الذين جاؤوا بعد الرسل أصحاب الشريعة ـ أمانة تبليغ رسالاتهم، وبيان شرائعهم، ونشروها بين الناس.

لقد كان اللّه ـ تعالى ـ يبعث نبيين، مبينين، لشريعة من سبقوهم، من الرسل، داعين، كالأنبياء الذين جاؤوا من بعد موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مثل داود، وسليمان، وغيرهما من الذين لم يكونوا أصحاب شريعة، ولكن كانوا مطبقين للشريعة، حاكمين بمقتضاها.

فلما كان النبي (ص) خاتم النبيين، ولا نبي بعده ولا وحي ينزل على أحد من خلق الله بعده، كان لا بد أن يوجد من يقوم ببيان الشريعة، وتبليغها للناس، فكانوا هم العلماء، وكانوا كما ورد في الأثر المنسوب للرسول (ص) كأنبياء بني إسرائيل، الذين جاؤوا بعد الرسل: أصحاب الشرائع، فكانوا بحق عليهم: بيانها، وتطبيقها، ونشرها بين الذين خوطبوا بها.

ولذا قام المسلمون الأولون من أصحاب رسول الله (ص) بحق الدعوة، وخلفهم من بعد ذلك التابعون. وكان من الحكام بعد الراشدين من قام بحق الدعوة كالحاكم العادل عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ، وكان من العلماء من اتخذ مبدأ الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه، منهاجاً من مناهجهم، كالمعتزلة وغيرهم: ممن حملوا الدعوة إلى الإسلام، والرد على الزنادقة، والمتهجمين على الحقائق الإسلامية.

وكان المجاهدون الأولون لا يجاهدون للغلب، وفرض السلطان، بل كان جهادهم، ليشقوا الطريق للدعوة الإسلامية.

ـ يلزم أن يعمل جهاز الاعلام الإسلامي على وضع أسس إصلاح المجتمع في كل دولة من الدول حسب ما جاءت به تعاليم الدين الإسلامي، وأن يشارك في إيجاد الحلول الإسلامية للمشاكل الشعبية، فإن هناك في كل دولة أكثر من عشرة آلاف قانون وانشغلت المحاكم فيها بالخلافات والمنازعات، ولذلك فإن إصلاح المجتمع يتوقف على أن تكون المعاملة دينية أو دنيوية قائمة على قول الحق والتواصي به بين أفراد المجتمع. يقول الرسول (ص): «وخالق الناس بخلق حسن» إن مخالقة الناس بخلق حسن كفيل بإصلاح المجتمع، ولو أن الناس جميعاً راعوا هذه الصفات في جميع معاملاتهم لذهب الخلاف وقُضي على المنازعات والمشاحنات فيما بينهم، ولقد صدق من قال: لو أنصف الناس لاستراح القاضي. فإذا قام كل فرد برعاية الحق والعدل، وخالق الناس بخلق حسن فلا شك أنه يرعىَ حق المجتمع، فيأخذ بالعدل حقه، ويعطي بالمعروف حق الناس عليه وذلك من أهم العوامل لتحقيق أهداف الرسالة الإسلامية.

ـ وعلى ضوء هذا يتبين للناس أن الشريعة الإسلامية قد رسمت للناس منهج الحياة العزيزة الكريمة وأن الله تعالى قد جاءهم بكتاب مبين ضمنه مصالح العباد وهم أعلم بما فيه نفعهم وقد ملأه بالنذر والتهديد ليقوّم بذلك عوجهم، وأرسل إليهم رسولاً أنزل عليه هذا الذكر ليبين للناس ما نزّل إليهم.

ـ يلزم أن يهتم الجهاز الإعلامي بأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.

وذلك هو ما قرره علماء الاجتماع، وعلى رأسهم العالم الاجتماعي: «ابن خلدون» فلقد

قرروا: أن الضعيف مطبوع دائماً على تقليد القوي، واتباعه، ذلك: أن القوة في ذاتها دعوة إلى اتباع فضائل من يتحلى بها، ولأن ضعف المغلوب يجعله يقتبس من أسباب القوة عند الغالب.

ـ يلزم أن يبين الجهاز الإعلامي الإسلامي موقف الإسلام من الحروب، وأخلاق الإسلام في الحروب، فإن الاحتكاك في الحروب، يجعل الأخلاق والآداب تسري بين الناس، وتعلق الأخلاق القوية على الأخلاق الضعيفة، ويفيض الأعلى على الأدنى، كشأن طبائع الأشياء في الماديات والمعنويات على سواء.

فكانت الحروب معلمة بالإسلام، ودعوة إليه من غير إكراه، لقد كان شأن المسلمين الأولين في غزواتهم: أن يخيروا من يحاربونهم بين أمور ثلاثة: أن يسلموا ويبينوا لهم الإسلام، أو يعقدوا معهم العهد، ليأمن كل فريق صاحبه، أو الحرب.

وإن ذلك يقتضي حتماً: أن يتعرفوا الإسلام، وما اشتمل عليه، ويقابلوا بينه وبين ما عندهم، وأنهم بلا ريب سيجدون فيه علواً على ما عندهم، وفي وسط هذا تسري المبادىء الإسلامية إلى الشعوب، كما يسري النور في الظلام، ويزيل كثافة الظلمات.

إن الأخلاق الإسلامية بجوار قوة المسلمين الحربية، والمعنوية، وعدالة الغالب مع المغلوب، كل هذا: يكون من شأنه أن يؤثر في النفس، ويفيض منها ينبوع الخير، وتتفجر من القلوب التي كانت كالحجارة، أو أشد قسوة، ينابيع الإيمان القوي العامل.

إن معاملة المغلوبين الحسنة: من شأنها أن تفتح قلوب المغلوبين إلى الهداية.

وقد كان الغزاة الأولين في قلوبهم رحمة ورأفة، وعدالة ووفاء، وأخلاق العزة والكرامة التي لا تكذب، ولا تنافق، ولا تهن، ولا تذل، وإنّ ذلك بلا شك من شأنه أن يدني القلوب، ويؤلفها، وإذا دنت القلوب من أهل الإيمان، سرى إليها، ولا تقف محاجزات بينها وبينه.

إن من واجب الجهاز الاعلامي الإسلامي أن يوضح أن الإسلام لا يعرف التعصب، وأنه ثبت نفسياً: أن التعصب لدين من الأديان ليس منشؤه قوة الإيمان به، إنما منشؤه ضعف في النفوس، وانحياز فكري، وعدم النظر إلى الأمر من كل نواحيه، ولا شك أنه إذا دنت القلوب بعد اغترابها، لانت بعد عصبيتها، وتركت الانحياز إلى الائتلاف؛ والابتعاد إلى الاقتراب، وعندئذ يدخل نور الإيمان وتتفتح أمامه المغاليق.

إن توضيح مبادىء الأخلاق الإسلامية تعتبر مهمة رئيسية لجهاز الاعلام الإسلامي، فإن الأخلاق الإسلامية تؤلف، ولا تنفر، وتقرب، ولا تبعد، فلقد أوصى النبي (ص) بحسن المعاملة.

وروي في بعض الآثار أن: «الدين المعاملة».

ولقد أوصى الله ـ تعالى ـ بحسن الجوار، وقال النبي (ص):

«ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»[٢].

وحقوق الجار عظيمة، من شأنها: أن تربط بينهما بالمودة، والحسنى، وقد قال (ص):

«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قالها ثلاثاً، قالوا: ومن هو يا رسول الله؟ قال: ذلك الذي لا يأمن جاره بوائقه».

ولقد كان لعبد الله بن عباس جار يهودي، فكان إذا أحضر لأولاده فاكهة، أعطى منها لأولاد جاره، وكان إذا ذبح شاة، أهدى إلى الجار اليهودي منها.

ولقد نص النبي (ص) على الإحسان إلى الجار المشترك، فروي عنه: أنه (ص) قسم الجيران إلى ثلاثة: جار مسلم ذو رحم: له حق الجوار، وحق الرحم، وحق الإسلام، وجار مسلم: له حق الجوار وحق الإسلام، وجار مشترك: له حق الجوار.

ومن هذه الأخلاق التي أوصى النبي (ص) فيها بحسن العشرة، وحسن المعاملة، دخل الإسلام إلى القلوب، وقرب النفوس.

وإن العدالة الإسلامية في الشعوب التي حكمها، كانت مرطبة لنفوس المغلوبين مليّنة لقلوبهم فالله ـ تعالى ـ يقول:

﴿ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة: ٨].

والنبي (ص) أوصى بالذميين، وقال:

«من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه، خاصمته يوم القيامة»[٣].

ولقد كان الخلفاء الراشدون حريصين على اكرام الذميين، والعدالة فيهم، وحققوا القاعدة الفقهية التي تقول: لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، من غير وكس ولا شطط.

إن الإسلام كان دين العدل في وسط عنجهية الحكم الطاغي، والظلم المبين، وكان فيه إنقاذ الرعية، من الولاة الظالمين، والظلمة الآثمين.

---

(٢) الفتح الكبير: ٣ ـ ٩٣ لأحمد في سنده، وللبخاري ومسلم، ولأبي داود، وللترمذي عن ابن عمر.

(٣) الفتح الكبير: ٣ ـ ١٤٤ للخطيب عن ابن مسعود.

ولا شك: أنهم عرفوا أن الإسلام في عهوده التي يعقدها مع الحكام ـ ملوكاً كانوا أم غير ملوك ـ كان يشترط عليهم العدل في رعاياهم، فإن لم يعدلوا، فقد نكثوا في أيمانهم، ورد إليهم عهدهم، وقام المسلمون بقتالهم لإبعادهم عن ظلم الرعية، ذلك: أن الظلم حرام في الإسلام، جاء بتحريمه القرآن، ووصايا النبي ـ (ص) وكل شرط يحل حراماً، أو يحرم حلالاً فهو رد على من اشترطه كما قال (ص):

«المسلمون عند شروطهم، إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً»[٤] وإن الظلم حرام بحكم الشرع، وبحكم العقل.

وكانت كل هذه الخصال من أعظم الوسائل التي دعمت الاعلام عن الإسلام وتفتحت له العقول والقلوب.

وإذا كان هذا موقفنا الإعلامي الآن بالنسبة للإسلام والدعوة إليه نجد أننا أهملنا الدعوة والتعريف بالإسلام، حتى بين المسلمين. إن في أطراف البلاد الإسلامية من لم يعرف من الإسلام إلا الشهادة والصلاة، على انحراف في أدائها، ففيهم من يجهل أحكام الدين في كثير من الأمور ما يحل منها، وما يحرم.

وهكذا: كان التقاطع، والتدابر من أسباب جهل المسلمين بدينهم، فضلاً عن أن يوفروا أحكامه لغيرهم، ويبلغوا رسالة نبيهم في الآفاق.

ولكن مع ذلك: استمر الإسلام ينتشر، لأنه في ذاته حقائق تدعو بذاتها، وفيها برهان صدقها، ودليل العرفان بحقها.

وإن الرجل يقرأ القرآن في التراجم المتحاملة على الإسلام، فيحس فيها نوراً يشع، وسط ظلمات التشويه والتحامل، فيؤمن العوائق التي تحول بينه وبين الإيمان، من أحوال المسلمين الظاهرة.

ـ واجب الجهاز الإعلامي الإسلامي أن يرشد ويصدر النشرات التي يكتبها كبار العلماء، فإن إصلاح المجتمع الإسلامي يتوقف على عاملين، وهناك قول:

«صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس كلهم، وإذا فسدا فسد الناس كلهم العلماء والأمراء».

---

(٤) الفتح الكبير ٣ ـ ٢٥٧ «المسلمون عند شروطهم فيما أحل» ضمن ثلاث روايات هذه إحداها للطبراني عن رافع بن خديج.

مسؤولية الإعلام الإسلامي مسؤولية المسلمين كافة، ويلزم أن يبين ذلك جهاز الاعلام.

والإسلام دين الناس كافة فإن رسول الله محمداً (ص) أرسل إلى الناس جميعاً كما قال تعالى:

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ [سبا: ٢٨]. وكما قال تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولقد قال رسول الله(ص): «كل نبي بعث إلى قومه وإنما بعثت للأحمر والأسود»، فبمقتضى الأثر، وتلك الآيات: كان الإسلام دين الكافة، والناس جميعاً مطالبون بالاستجابة لما جاء به النبي (ص)، وسجله القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، في محكم آياته.

وإنه لا نبي بعد النبي (ص) فهو خاتم النبيين، وقد قال تعالى في ذلك:

﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وعلى ذلك: يكون الإسلام دين كل الأجيال، فهو دين الجيل الذي بعث فيه محمد (ص) ودين الأجيال من بعده، حتى يوم الدين.

وانه لا تكليف من غير اعلام، ولا ثواب ولا عقاب من غير علم بالرسالة ودعوة إليها، فإذا كان الإسلام ديناً عاماً، وديناً خالداً، يخاطب الأجيال كلها، فلا بد من معلمين داعين، ولا بد من دعوة دينية مستمرة متجددة، وينتقل فيها الدعاة بين البشر، ليتحقق العلم بهذا الدين الحنيف الذي هو دين الله كما قال تعالت كلماته: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران: ١٩].

وقد تولى النبي (ص) الدعوة بنفسه، وكانت دعوته إلى التوحيد، وما أمر الله ـ تعالى ـ به، وما نهى عنه، بتلاوة القرآن بين ظهراني المشركين، وبيان أحكامه للمؤمنين كما مَنَّ الله ـ تعالى ـ بذلك عليهم إذ يقول سبحانه وتعالى:

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم..﴾ [الجمعة: ٢،٣].

وكانت دعوته لمن يلاقيهم من الأقوام آحاداً وجماعات، وكان يرسل جماعات من أصحابه الذين علموا علم الإسلام، وفقهوا أحكامه، إلى الأقوام يهدونهم ويعلمونهم، ومنهم من كان يطلب فقهاء في الإسلام، ليعلموهم فكان النبي (ص) يرسل، ومن الاعراب من كان يغدر بهم، وينافق في دعوتهم، إلى التفقّه، وهم يبيتون الشر، كما قتلوا غدراً ستة من المؤمنين الصادقين، وكما قتلوا سبعين قتلة فاجرة، ولكن النبي (ص) كان يريد نشر الدعوة، وما كان يعلم ما تكنه القلوب، ولكنه كان يريدهم أنصاراً كالحواريين، كما قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين مَنْ أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة﴾ [سورة الصف: ١٤].

- إن واجب الجهاز الاعلامي الإسلامي أن يرسل الدعاة إلى كل البلاد في العالم ولنتذكر لما سيطر النبي (ص) على البلاد العربية، وصارت كلمة الله - تعالى - هي العليا، كان يرسل إلى الذين لم يؤمنوا ويعطون الجزية، من يدعوهم إلى الإسلام ويعلمهم، وقد أرسل إلى جزء من اليمن أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل، دعاة وهداة، وأرسل إلى الجزء الثاني خالد بن الوليد، ولكن لم يستجيبوا له، فأرسل إليهم علي بن أبي طالب، فدعاهم، ثم أمهم من بعد دعوته إلى الصلاة.

قام النبي (ص) بالتبليغ الكامل، استجابة لأمر الله - تعالى -:

﴿يا أيها الرسول بَلِّغْ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ [سورة المائدة: ٦٧].

ولم يكتف النبي (ص) في تبليغه رسالة ربه بالرسل يرسلها إلى الأقاليم: قاصيها ودانيها، سهلها ووعرها، نجدها وسهلها، بل تجاوز في تبليغه إلى غير العرب، فأرسل إلى هرقل - ملك الرومان - يدعوه إلى الإسلام، وجاء في كتابه:

«من محمد رسول الله، إلى هرقل ملك الروم:

إني أدعوك بدعاية الله، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، وإن لم تفعل فإن عليك اثم الأريسيين». (الفلاحين).

﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: ٦٤].

وأرسل مثل ذلك إلى المقوقس: عظيم مصر، وإلى النجاشي: ملك الحبشة، وإلى كسرى فارس وغير هؤلاء، ومنهم: من رد رداً جميلاً وإن لم يستجب لدعوة الحق، ومنهم: من قبح رده وأخذته العزة بالإثم، وهو كسرى، وقد مزق الله ملكه، إذ مزق كتاب النبي (ص) وبعث من يقتل النبي (ص) فقتلته رعيته.

وهكذا: نجد النبي (ص) قام بحق الدعوة، ودعا إلى الحكمة، لتبليغ رسالة ربه كما قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل: ١٢٥].

وكما قال تعالى: ﴿وادعُ إلى ربك ولا تكونن من المشركين﴾ [القصص: ٨٧].

وكما قال تعالى: ﴿وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم﴾ [الحج: ٦٧].

وإن الدعوة إلى الله هي: عمل الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً**﴾ [سورة الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وهكذا كانت دعوة النبي (ص) ماضية قائمة، كان يدعو بنفسه وبرسله وكتبه، حتى بلغ رسالة ربه، وأودع أمانة الدعوة من بعده إلى الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم الدين.

إن على الذين يعملون في جهاز الإعلام الإسلامي أن يفهموا تماماً أن واجب الدعوة والاعلام للإسلام أمر لا يحتاج للتأكيد فهي مسؤولية شرعية وليست عملاً هامشياً بل هي من صميم الدعوة، وركيزة دينية أساسية.

فقد خاطب النبي (ص) بدعوة التوحيد من عاصروه من العرب ومن جاورهم، وما كان من شأن دين تطالب به الأجيال كلها، في مشارق الأرض ومغاربها، أن يترك من بعده في عماية من أمره، ولا يعرفون شيئاً عن العقيدة التي دعا إليها ذلك الدين، بل لا يترك محمد (ص) الأمر من بعده من غير تكليف لمن اتبعوه، واهتدوا بهديه أن يقوموا بحق الدعوة ونشرها، لأنه لا يمكن أن يكون المخاطبون بهذا الدين، وهم الإنسانية كلها من بعده: من غير هاد يدعو، ولا مرشد يبين، قياساً على قوله تعالى:

﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾ [سورة الإسراء: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾ [فاطر: ٢٤].

فالنذير: المحذر، والبشير: المبشر لا بد من وجودهما في كل عصر.

وأولئك يقومون مقام الأنبياء في بني إسرائيل، كما أشار إلى ذلك الأثر المنسوب إلى النبي (ص) «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل».

إن الله أرحم بعباده من أن يترك الناس من بعد رسوله خاتم النبيين، بوراً، لا هادي يهديهم، ولا داعي للحق يدعوهم إليه، والعقول وحدها لا تكفي في الهداية، وقد ضلت العقول وتاهت الأفهام تحت لجاجة الاهواء والشهوات، وعندئذ يتخذ الناس إلٰههم هواهم.

لذلك: كان تكليف النبي تبليغ دعوته تكليفاً لأمته، وقد صرحت بذلك الآيات البينات، من كتاب الله ـ تعالى ـ فقد قال تعالت كلماته: ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾ [يوسف: ١٠٨].